(٣٦)

الْفَتَّاحُ ﷻ

يا من مل من الحياة، وسئم العيش، وضاق ذرعًا بالأيام، وذاق الغصص! إن هناك فتحًا مبينًا، ونصرًا قريبًا، وفرجًا بعد شدة، ويسرًا بعد عسر، إن هناك لطفًا خفيًّا من بين يديك ومن خلفك، وإن هناك أملاً مشرقًا ومستقبلاً حافلاً، ووعدًا صادقًا: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[الروم:٦].

إن لضيقك مع الفتاح فرجةً وكشفًا، ولهمك مع الفتاح أنسًا.

قال الله ﷻ عن نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾[سبإ:٢٦].

فربنا ﷻ يفتح مغاليق القلوب بالهدى والإيمان والتقى.

وربنا ﷻ هو الذي يفتح ويحكم ويقضي بين عباده بالحق في الآخرة؛ حكمًا لا جور فيه ولا جنف ولا ظلم، ولكنه عدل وحق، والله خير الفاتحين: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾[سبإ:٢٦].

وربنا ﷻ يكشف الغمة عن عباده، ويسرع بالفرج، ويرفع الكرب، ويزيل الضراء، ويفيض بالرحمة، ويفتح أبواب الرزق، ويفتح لعباده في شؤون

دنياهم ما يصلح به عيشهم وتستقيم حياتهم، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[فاطر:٢].

وربنا ﷻ هو الذي فتح أبواب العلم والحكمة والمعرفة والبصيرة لأنبيائه وأوليائه وعباده الصالحين: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾[البقرة: ٢٨٢].

وربنا ﷻ الذي فتح الممالك والأمصار لعباده الصالحين المؤمنين، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾[الفتح: ١].

وربنا ﷻ هو الذي يفتح بأنواع النعم للعاصين؛ استدراجًا لهم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الأنعام:٤٤] .

وَكَذَلِكَ الفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ ... وَالفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهُوَ شَرْعُ إِلَهِنَا ... وَالفَتْحُ بِالأَقْدَارِ فَتْحٌ ثَانِي
وَالرَّبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِلَيْهِمَا ... عَدْلاً وَإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمَنِ

❐ حقيقة..

ذكرت في التعريف ما ذكره العلماء من تعريف لاسم الله: (الفتاح)، وهو تعريف شامل، لكن في هذه السطور سأقف عند قوله ﷻ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ

﴿لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ

﴿٢﴾ [فاطر:٢]:

حقيقة لا بد أن يتذكرها المؤمن على الدوام، وهي: أنه لا عبور لأي رغبة إلا عن طريق الله ﷻ، ولا وجود لأي حاجة إلا في ساحة الله ﷻ، ولا إمكانية لحدوث شيء إلا بالله ﷻ؛ فإنه وحده الذي لا حول في الوجود ولا قوة إلا به ﷻ.

ولا يمكن لخلية أن تتحرك، ولا لذرة أن تكون، ولا لقطرة أن تتبخر، ولا لورقة شجر أن تسقط إلا بحوله وقوته ﷻ.

ولا يستطيع العالم كله أن يمسك بسوء لم يرده الله ﷻ، ولا يستطيع العالم كله أن يدفع عنك سوءًا قدره الله ﷻ.

كتب بعض السلف لأخ له: أما بعد؛ فإن كان الله معك فمن تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟!

❐ المفاتيح بيده..

يحتاج المريض إلى الشفاء بعد أن أوجعته الآلام، وأتعبته الأوجاع، وضاقت به الدنيا، وعَجَزَ عنه الأطباء، وأغلق باب الدواء دونه؛ فإذا بالرحمن الفتاح

العليم الشافي يشفيه بسبب، أو بأضعف سبب، أو بأقرب سبب، أو بلا سبب... إِنَّهُ الفَتَّاحُ ﷻ.

تهشمك الظروف، وتتواطأ ضدك الكروب، وتتكالب عليك الأزمات، وتتزاحم في قلبك الآلام، ويغلق الباب دونك؛ حتى تظن أن ليس لهذا الهم والغم كاشفة؛ فإذا بالْفَتَّاحِ يُرْسِلُ إليك فتحه بأيسر الأمور، وتتم إرادته على ما يشاء.

يدركك الفقر، وتغشاك الديون، وتتغير ملامحك، وينكسر قلبك عندما تذكر أبناءك، وتخشى من صاحب الدين، ويحار فكرك، وتتشتت أفكارك؛ ويغلق الباب دونك.

هنا يرسل الفتاح ﷻ بفرج خفي؛ فيقضى الدين، وينقشع الفقر، وتسر النفس.. إنه الفتاح؛ الذي فتح أبواب الرزق.

يغيب الابن، ويسافر الوالد، ويذهب الحبيب والصديق، ويؤسر العالم؛ فتضيق النفس، وتتشتت الأفكار، ويرجف القلب كلما تذكر الغائب؛ وهنا ينطرح المؤمن عند باب الملك الفتاح، سائلاً أن يرد الغائب ويحفظه؛ سواءً أكان أسيرًا أم مسافرًا، فإذا بالبشرى من فوق سبع سماوات؛ بقدوم الغائب، وفك الأسير، ورد الحبيب؛ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

❐ أقبل عليه!

إنه الفتاح العليم ﷻ؛ فما أعظم شأنه، وأعلى مكانه، وأقربه من خلقه، وألطفه بعباده.

فباب الفتاح مفتوح، فإذا رأيت الحبل يشتد؛ فاعلم أنه سينقطع، وإذا اشتد الظلام؛ فأبشر بصبح قريب، لا تضق ذرعًا مع الرب الكريم الفتاح، فمن المحال دوام الحال، وأفضل العبادة: انتظار الفرج، والأيام دول، والدهر قُلَّبُ، والليالي حُبالى، والغيب مستور، والفتاح ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرحمن:٢٩]، و﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾[الطلاق:١]، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾[الشرح:٥-٦].

قُـلْ لِلطَّبِيـبِ تَخَطَّفَتْـهُ يَـدُ الـرَّدَى:
مَـنْ يَـا طَبِيـبُ بِطِبِّـهِ أَرْدَاكَـا؟
قُـلْ لِلمَـرِيضِ نَجَـا وَعُـوفِيَ بَعْـدَمَا
عَجِزَتْ فُنُوْنُ الطِّبِّ: مَنْ عَافَاكَا؟
قُـلْ لِلـصَّحِيحِ يَمُـوْتُ لاَ مِـنْ عِلَّـةٍ:
مَـنْ بِالمَنَايَـا يَـا صَـحِيحُ دَهَاكَـا؟
هَـذِي عَجَائِـبُ طَالَمَـا أُخِـذَتْ بِهَـا
عَيْنَـاكَ وَانْفَتَحَـتْ بِهَـا أُذُنَاكَـا
يَـا أَيُّهَـا الإِنْـسَانُ مَهْـلاً مَـا الَّـذِي
بِـاللهِ جَـلَّ جَلاَلُـهُ أَغْرَاكَـا؟

❐ فتح خاص..

الأرزاق من الفتاح قد قسمت، فربَّ رجل فُتح له في إطالة الصلاة ولم يُفتح له في كثرة الصوم، وآخر فُتح له في الصدقة ولم يُفتح له في العلم، والآخر فُتح له في القرآن ولم يُفتح له في أعمال البر، وآخر فُتح له باب برِّ والديه... فهنيئًا لم فُتح عليه.

فَإِذَا أَحَبَّ اللهُ بَاطِنَ عَبْدِهِ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ مَوَاهِبَ الفَتَّاحِ
وَإِذَا صَفَتْ للهِ نِيَّةُ مُصْلِحٍ مَالَ العِبَادُ عَلَيْهِ بِالأَرْوَاحِ

اللهم! افتح علينا من بركات الأرض والسماء، وافتح لنا أبواب رحمتك، واجعلنا مفاتيح خير مغاليق شر؛ يا فتاح يا عليم!